المفارقة اللغوية
في الدراسات الغربية

obeikandl.com

obeikandl.com

المفارقة اللغوية (paradox)

تعني : التناقض الظاهري، أو أمرًا مُحيرًا ظاهري التناقض.

ويعرفها الفيلسوف الإنجليزي مارك سينسبري بأنها :

" خاتمة قد تبدو غير مقبولة، مستمدة من فرضيات قد تبدو مقبولة من خلال منطق قد يبدو مقبولا ".

ويقسم المفارقة إلى نوعين :

مفارقة خارجية : عندما تناقض معرفة أو فرضية سابقة .

أو تناقض داخلي : عندما يحتوي القول نفسه على شيء وعكسه.

وفي التراث اليوناني القديم :

مصدر الكلمة مفارقة من اليونانية : *para* وتعني : بجانب أو ممر، *doxa* وتعني (إيمان أو رأي).

ويكون معنى المصطلح (هو شيء يبدو للوهلة الأولى بدون قيمة أو غير ممكن ولكن بعد تفكير عميق يتضح أنه صحيح).

وعند سقراط (الفيلسوف اليوناني) **تدل المفارقات على رؤيته الأخلاقية** :

ونظرته إلى القيم الأخلاقية الفاضلة ومدى مفارقتها وتعارضها مع الواقع والتي بني عليها مدينته الفاضلة وما فيها من قيم ومثالية .

وفي الدراسات اللغوية الحديثة – كما يرى علماء الغرب – أن المفارقة اللغوية تقنية تقوم على التلاعب بدلالات الألفاظ وإعطائها أبعادًا غير متوقعة تحدث عملية تحويل في معنى النص بكامله بحيث يأخذ دلالات جديدة تمامًا لا تمت بصلة إلى الخط التصاعدي للمعنى الكلي الافتراضي .

لذا يقول الناقد كلينسثا بروكس "إن الحقيقة التي يسعى الشاعر إلى كشفها لا تأتي إلا عبر أسلوب المفارقة" .

ولقد وظف الشعراء الكبار من الغربيين المفارقة في شعرهم، أمثال :

شكسبير، و أليوت، وبايرن وتوماس ... وبوب وكرو وشيلي وفليب سدني وغيرهم كثير، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من قصائدهم من مفارقة وتلاعب بالألفاظ.

المفارقة اللغوية
في
التراث النقدي

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

تراثنا النقدي القديم – كما عودنا – زاخر بكل ما هو ثمين طيب ، وأجدادنا القدماء كانوا دائما متميزين ، سبقوا عصرهم ، وتفوقوا على أنفسهم فلم يتركوا شيئا مما يتعلق باللغة وأصولها إلاَّ وأدلوا فيه بدلوهم ، وحازوا فيه قصب السبق والتفرد .

وعجيب الأمر أن ما نراه من دراسات لغوية غربية ، وما يرد إلينا من مسميات تمت إلى اللغة وقضاياها نجد لها أصولاً وتقعيدًا عند شيوخنا العرب الأجلاء ، ولكن تحت مسمى آخر.

إن من يتأمل تراثنا البلاغي النقدي القديم يجده زاخرا يغص بقضايا اللغة وما يتعلق بها ، وحسبك ما كتبه ابن جني والخليل بن أحمد والجرجاني و قدامة بن جعفر و الباقلاني و السكاكي وأبو هلال العسكري وغيرهم من أجدادنا الفضلاء .

وليس أدل على أخذ الغرب من تراثنا النقدي أن (نظرية النظم) كانت الأساس الذي بني عليه دي سوسير وشتراوس وجوليا كريستيا وغيرهم من علماء الغرب اتجاهات النقد الحديث ممثلاً في الأسلوبية والبنيوية و التفكيكية ، وإن لم يصرحوا هم بذلك ، ولكن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير.

وحري بنا عبر الصفحات التالية أن نشير إلى وجود المفارقة اللغوية في إبداعات شعرائنا وعلمائنا ، ولكن – كما أشرنا – تحت مسميات أخرى هي ما سنعرض له في فصولنا التالية من هذا المصنف ، فتعالوا بنا نتبين حقيقة أمر المفارقة اللغوية .

بداية ننوه إلى أن المفارقة اللغوية ـ ولجت في تراث البلاغي في أبواب كثيرة منها :

- ✓ العدول .
- ✓ الالتفات .
- ✓ التورية.
- ✓ المجاز.
- ✓ رد الأعجاز على الصدور .
- ✓ الكناية .
- ✓ التهكم .
- ✓ التعريض .

ونفصل القول فيها على النحو التالي :

العدول

العدول في المعجم

جاء في لسان العرب :

العَدْل: ما قام في النفوس أَنه مُسْتقيم، وهو ضِدُّ الجَوْرِ.

عَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ

وعَدَّلَ الحُكْمَ: أَقامه.

وفلان يَعْدِل فلانًا أَي يُساويه.

ويقال: ما يَعْدِلك عندنا شيءٌ أَي ما يقَع عندنا شيءٌ مَوْقِعَك.

وعَدَّلَ المَوازِينَ والمَكاييلَ: سَوَّاها.

obeikandl.com

وعَدَلَ الشيءَ يَعْدِلُه عَدْلاً وعادَلَه: وازَنَه.

وعادَلْتُ بين الشيئين، وعَدَلْت فلانًا بفلان إذا سَوَّيْت بينهما.

وتَعْدِيلُ الشيء: تقويمُه، وقيل: العَدْلُ تقويمُك الشيءَ بالشيءِ من غير جنسه حتى تجعله له مِثْلاً.

والعَدْلُ والعِدْلُ والعَدِيلُ سَواءٌ أي النَّظير والمَثِيل، وقيل: هو المِثْلُ وليس بالنَّظِير عَيْنه والعَدِيلُ: الذي يُعادِلك في الوَزْن والقَدر.

وعَدَلْت الشيءَ بالشيء أَعْدِلُه عُدولاً إذا ساويته به: قال شمر: وأما قول الشاعر:

أَفَذاكَ أَمْ هِيَ في النِّجا ... ءِ، لِمَنْ يُقارِبُ أو يُعادِل؟

يعني يُعادِلُ بي ناقته والثَّوْر.

واعْتَدَل الشَّعْرُ: انْزَنَ واستقام، وعَدَّلْته أنا.

وعَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولاً: حاد، وعن الطريق: جار، وعَدَلَ إليه عُدُولاً: رجع.

وعَدَلَ الطريقُ: مال.ويقال: أَخَذَ الرجلُ في مَعْدِل الحق ومَعْدِل الباطل أي في طريقه ومَذْهبه.

عَدَل عنه يَعْدِلُ عُدولا إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر.

تعريف العُدول:

هو أسلوبٌ رفيعٌ من القول يخرج فيه منشئ الكلام عن النمط المألوف إلى نمطٍ غير مألوف لدواعٍ بلاغية ومعنوية ولتحقيق سمة جمالية وإبداعية

في الكلام ؛إذ يضفي على الكلام خصائص ومزايا لم تكن لو كان الكلام على النمط المعتاد.

و(العُدُول) أسلوب لا يستطيعه إلاَّ من رزق ملكة البيان وفصاحة القول واللسان . وقد تناوله العرب الأوائل وأكثروا منه .

وللعدول أنواع هي :

١- العُدول في تركيب الجملة

٢- العُدول عن مطابقة النعت لمنعوته بالحركات الإعرابية.

٣- العُدول من الفعل إلى الاسم أو العكس.

٤- العدول بالالتفات.

وتفصيل هذه الأنواع هو :

أولاً: العدول في تركيب الجملة .

والمقصود به التمييز المحول عن شيء آخر على النحو الآتي :

- تمييز محول عن المبتدأ مثل : أنا أكبرُ منك عمرًا .

والتقدير :(عمري أكبر من عمرك) .

ومثله من القرآن الكريم قول الله تعالى :

﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الكهف: الآية ٣٤]

والتقدير : (مالي أكثر من مالك ونفري أعزّ من نفرك).

- تمييز محول عن الفاعل مثل :

كرم محمد أصلا . أي : كرم أصل محمد .

طبتَ عيشا . أي : طاب عيشك .

طبتُ نفسًا والتقدير طابت نفسي.

- تمييز محول عن المفعول به مثل : زرعتُ الحديقةُ أزهارًا . والتقدير : زرعتُ أزهارَ الحديقةِ

ومثاله من القرآن الكريم :

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة القمر: الآية ١٢]

والتقدير : وفجرنا عيونَ الأرضِ .

ففي العدول من التركيب الأصل إلى الفرع تكون الجملة أدت معنى جملتين وذلك بتحويل الإسناد في (كرم محمد أصلاً) ، وصارت كلمة (أصلاً) بهذا التحويل فضلة، وبذلك تكون قد نسبت الكرم أولاً إلى محمد بكل صفاته المادية والمعنوية ثم خصصت الكرم بمحمد دون سواه من خصائص زيد .

ومن يتأمل الجملتين الأصل و المعدول إليها ويدقق فيهما يجد الفرق واضحًا ففي الأصل نجد الكرم مقصورًا على محمد دون أن يتعداه إلى ما سواه، في حين نجد في الجملة المعدول إليها الكرم شمل أولاً محمدًا بكل مكوناته وخصائصه ثم نسب مرة ثانية إلى محمد وخصص به.

ثانيا :العدول عن مطابقة النعت منعوته بالحركات الإعرابية:

معلوم أن النعت يطابق منعوته بالحركات الإعرابية رفعًا ونصبًا وجرًا، غير أنه من أساليب العربية العدول عن هذه المطابقة إلى المخالفة بحركة الإعراب مثل قولك :

مررت بعلي الكريم ، بنصب كلمة الكريم :

أفدت بأنك مررت بالمذكور وأنك مدحته بالكرم إذ إنه بعُدولك كلمة الكرم من الجر إلى النصب جعلتها مفعولاً به لفعل تقديره: أمدح الكريم .

وفي هذا العدول من الجر إلى النصب إثارة لذهن القارئ، لأنك في المخالفة عن المألوف أثرت ذهنه إلى أمر غير معتاد ولا مألوف، وجعلته يتفكر ويتأمل في التركيب لمعرفة علة هذه المخالفة وهذا الانزياح والخروج عن المألوف.

ثالثا: العدول من الفعل إلى الاسم أو العكس:

من المعلوم عند اللغويين أن الاسم يفيد الثبات والفعل يفيد التجدد والحدوث، ولتحقيق هذه المعاني من التجدد أو الثبوت يُعدل أحيانًا من التعبير بالفعل إلى الاسم أو العكس، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ﴾ [سورة الروم: الآية ١٩]

فظاهر الكلام يقتضي أن يقال: ويُخرجُ الميتَ من الحي، إلا أنه عدل من الفعل إلى الاسم، وفي ذلك سرٌّ لطيفٌ وغايةٌ شريفةٌ وذلك أن الحركة هي أبرز صفات الحي، بل هي الصفة التي تميزه من الميت، ولذا عبر عن ذلك بالفعل المضارع (يخرج) الدال عن الحركة والتجدد، أما الميت فهو هامدٌ جامدٌ لا حركة فيه، ولذا عدل في التعبير عنه إلى الاسم الدال على الثبوت والدوام.

العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية وعكسه:

مثل قوله تعالى: (أي: العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة لقمان: الآية ٣٣]

فلقد أوثرتِ الجملة الفعلية في نفي جزاءِ الوالد عن ولده، ثم عدل عنها إلى الجملة الاسمية عندَ نفي جزاء الولد عن الوالد (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ...

يقول الألوسي في تفسير تلك المخالفة: "إنَّ العرب كانوا يدَّخرون الأولاد لنفعهم، ودفع الأذى عنهم، وما يهمهم، ولعلَّ أكثر الناس اليوم كذلك، فأُريد حسْمُ توهُّم نفعهم ودفعهم، وكفاية المهمِّ في حقِّ آبائهم يوم القيامة، فأكدت الجملة المفيدة لنفي ذلك عنهم". ذلك أن الأبناء - دائمًا - هم مثار افتتان الإنسان واغتراره بالحياة، لأنهم المستقبل والأمل الذي يعقده عليم الآباء، ومِن ثمَّ فإنَّ مراد العدول في الآية هو اقتلاعُ ما قد يتسلَّل إلى النفس البشرية - من أي جنس، وفي أي عصر - من توهُّم نفع الأبناء، وهو خطاب عام لعموم الجنس البشري.

العدول عن الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية، مثل قوله تعالى:-

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[سورة المؤمنون: الآية ١٦]

ففي الآية الكريمة جاء الحديثُ عن "الموت" من خلال الجملة الاسمية "(ميتون)؛ ليرسخ معنى السكون والخمود، وينبه المتلقي خالي الذهن، المشغول بمتاع الدنيا، فأنزلتْه الصياغة المخالفة لمقتضى الظاهر منزلةَ المنكر للموت وخُوطب بالجملة الاسمية المؤكدة بمؤكدين: "إن"، و"اللام" (لميتون)؛ ليتنبه - بعد غفلة - إلى أن الموت هو اليقين الحقيقي في هذه الحياة.

وعندما انتقلتِ الصياغة إلى الحديث عن البَعْث، جاء الخطاب بالجملة الفعلية (تُبعثون)؛ لما في استخدام الفعل المضارع من صفة الاستمرارية ولتصوير الحركة الدائمة، حتى يستحضر المتلقِّي هذه الصورة.

وهكذا أسهم العدول من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية في تجسيم المفارقة المعنوية بين الموت والبعث، بين حالة السُّكون والجمود.

العدول عن الجملة الخبرية إلى الإنشائية وعكسه :

مثل قوله تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[سورة الصف: الآية ١١]

نلحظ في قوله تعالى :- تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أنّ ظاهر الصياغة خبرية، ولكن المقصود حثُّ المخاطَبين على فعْل ذلك، والإسراع إلى تنفيذه، بدليل الاستفهام التشويقي الوارد في قوله (هل أدلُّكم)؟ وفي ذلك حثٌّ وتشويق وأمر وتقدير الكلام : آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله، ولكن أسلوب القرآن آثر العدول عن الإنشاء إلى الخبر لما في ذلك من حث وتشويق للمؤمن ، حتى تربح تجارته .

وواضح من الأمثلة السابقة أن العدول أحدث المفارقة بالتعبير بالجملة الفعلية بدلاً من الاسمية ، أو بالعدول من الاسم إلى الفعل أو العكس أو العدول عن مطابقة النعت لمنعوته .

الالتقاط

obeikandl.com

obeikandl.com

معناه المعجمي :

جاء في لسان العرب : اللَّفْتُ: اللَّيُّ.

لفته يَلْفِتُه لَفْتًا : لواه على غير جهته؛ وقيل: اللَّيُّ هو أن تَرْمِيَ به إلى جانبك.

ولفته عن الشيء يَلْفِتُه لَفْتًا: صَرفه. الفراء في قوله عز وجل:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [سورة يونس: الآية ٧٨]

اللَّفْتُ: الصَّرْفُ؛ يقال: ما لَفَتَك عن فلانٍ أي ما صَرَفَك عنه؟ واللَّفْتُ: لَيُّ الشيءِ عن جهتِه، كما تَقْبِضُ على عُنُقِ إنسانٍ فتَلْفِتُه؛ ولَفَتُّ فلانًا عن رأيه أي صَرَفْتُه عنه، ومنه الالْتِفاتُ.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة هود: الآية ٨١]

أُمِرَتْ تركِ الالْتِفاتِ، لئلا يرى عظيمَ ما يَنْزِلُ بهم من العذاب.

وفي الحديث في صفته، ﷺ: فإذا الْتَفَتَ، الْتَفَتَ جميعًا؛ أراد أنه لا يُسارِقُ النَّظَرَ؛ وقيل: أراد لا يَلْوِي عُنُقَه يَمْنَةً ويَسْرَةً إذا نظَر إلى الشيءِ، وإنما يَفْعَلُ ذلك الطائشُ الخَفيفُ، ولكن كان يُقْبِلُ جميعًا ويُدْبِرُ جميعًا.

وفي الحديث: فكانت مِنِّي لَفْتَةٌ؛ هي المَرَّة الواحدة من الالْتِفاتِ.

الالتفات في الاصطلاح:

هو الانتقال من أسلوب إلى آخر لإرادة معنى بعينه ولغرض بلاغي وغاية من الإبداع والمتعة الفنية.

ويعرفه البلاغيون بأنه أسلوبٌ ينتقل فيه الأديب من الحديث بصيغة الغائب إلى صيغة المتكلم ، أو من المتكلم على المخاطب وغيرها من وسائل الانتقال

ومثال الالتفات من القرآن الكريم قول الله تعالى :

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤﴾ [سورة الفاتحة: الآية ١-٥]

فقد التفتت الآية الكريمة من استخدام ضمير الغائب إلى ضمير الخطاب.

وكانت أول إشارة إلى هذه الظاهرة ما نجده عند أبي عبيدة معمر بن المثنى إذ قال: ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته إلى مخاطبة الغائب. قال الله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: الآية ٢٢]

وقد تحدث الزمخشري وهو يعرض لأول التفات في سورة الفاتحة:

(هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ... على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه).

وسمّاه أسامة بن منقذ (الانصراف)، إذ قال: باب الانصراف: وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الخبر (١)

ويقول السكاكي: (واعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتهن ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتًا عند علماء المعاني(٢)

ويقول ابن الزملكاني عن الالتفات: وهو أن تعدل من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى التكلم ... وهو من أساليب الافتنان في الكلام، ولأنه إذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أنشط للإصغاء وأيقظ للسامع مما لو أجرى الكلام على أسلوب واحد (٣)

أما ضياء الدين ابن الأثير فيذهب ابن الأثير إلى أن الالتفات من (البيان) إذ قال :هذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدَنْدَن واليها تستند البلاغة. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا. (٤)

أقسام الالتفات :

١- الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة .

٢- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

٣- الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

٤- الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

٥- الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

٦- الالتفات من التكلم إلى الغيبة .

أما أمثلة الالتفات فلكثرة منها :

- قول الله عز وجل:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس: الآية ٢٢]

حيث التفتت الآية من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة .

- ومثل قول الشاعر :

أقـــولُ لـــه والـــرمحُ يـــأطرُ متنهُ تأمّل خفافا إنني أنـــا ذلكـــا

- مثل قول الله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

[سورة الروم: الآية ٣٩]

obeikandi.com

- وقوله تعالى :

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يس: الآية ٢٢]

- وقوله تعالى :

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الفتح الآية ٢]

- وقول الشاعر :

يا دار ميـــة بالعليـــاء فالســـند أقوت وطال عليها سالف الأمـــد

ولاشك أن في الالتفات مفارقة تتمثل في تفضيله التعبير بضمير الخطاب بدلا الغيبة ، التكلم بدلا من الخطاب ، وهو أمر يؤكد طواعية اللغة العربية ، ويثبت أنها لغة مرنة يتبح نظامها النحوي وما فيه من أساليب وطرائق التعبير ما يجعل المتكلم يفضل أسلوبًا دون الآخر وصولاً إلى معنى ما كان للكلام أن يكتسبه لو اتبع النمط الآخر.

التـــورية

obeikandl.com

obeikandl.com

التورية تعني الإخفاء وعدم الظهور.

وهي لفظ يذكر وله معنيان: معنى قريب وهو غير مراد، ومعنى بعيد وهو المراد.

من أمثلة التورية قول نصير الدين الحمامي:

أبيـــــات شـــــعرك كالقصـــــور

ولا قصـــــور بهـــــا يعـــــوق

ومـــــن العجائـــــب لفظهـــــا

حـــــرّ ومعناهـــــا "رقيـــــق"

فلكلمة (رقيق) معنيان: الأول قريب متبادر وهو "العبد المملوك" وسبب تبادره إلى الذهن ما سبقه من كلمة "حر" والثاني: بعيد وهو "اللطيف السهل" أو الشفاف، وهذا هو المعنى الذي يريده الشاعر بعد أن ستره في ظل المعنى القريب. وأنت تلحظ أن التورية تضفي على المعنى غموضًا لا يصل حدّ الإبهام؛ إذ فيها التي تثير ذهنية المتلقي للنص الأدبي.

ولكن لماذا تعد التورية مفارقة لغوية؟

هي مفارقة لما فيها من الخفاء والتجلي، وما فيها من تضاد بين ما هو قريب متبادر للذهن، وبين ما هو بعيد غير ملتفت إليه. ولأن البعيد هو المراد المقصود، وما يتطلب الوصول إليه من كد للعقل، وإعمال للذهن حتى يدرك المعنى المطلوب.

ومن التورية المكررة قول ابن نباتة في الغزل :

بروحـــي جيـــرة أبقـــوا دمـــوعي

وقـــد رحلـــوا بقلبـــي و اصـــطباري

كأنّـــا للمجـــاورة اقتســـــــــمنا

فقلبـــي جـــارهم والـــدمع جـــاري

تحدث ابن نباته عن اقتسام المجاورة على أحبابه، هم جاوروا قلبه وهو جاور دمعه ، فالمعنى الظاهر القريب لكلمة (جاري) هو المجير، ولكن المعنى البعيد الذي يقصده الشاعر هو سيلان الدمع لكثرة بكائه .

ففي هذا البيت جمع الشاعر التورية مع الجناس كلمة (جاري) فالذي يتبادر إلى الذهن أنها من الجوار وهو يريد الجريان والبراعة في هذا الاستخدام أن الكلمة تصلح للمعنيين ، فدمعه يوصف بالجريان لغزارته ويوصف بالجوار لملازمته .

والمفارقة بادية هنا في المعنيين : القريب والبعيد وإرادة المعنى البعيد غير ما يتوقع ويقصد المتلقي ، وفي ذلك كد للذهن ، وإعمال للفكر حتى يتوصل لمقصود الشاعر من التورية .

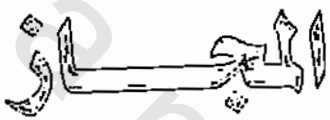

obeikandl.com

obeikandl.com

المجاز اللغوي :

لفظٌ استُخدمَ لغير معناه الحقيقيّ لعلاقة معيّنة .

وكثيرًا ما يستخدم الإنسان لفظًا ولا يقصد معناه الحقيقي، بل يقصد معنى آخرَ مختلفًا.

فإذا قال أحد مثلاً :

رأيت أسدًا يكر على الأعداء بسيفه، فهذه الجملة تدل على أن الأسدَ المذكورَ في الجملة هو ليس الأسد الحقيقي الذي نعرفه، والدليل على ذلك (بسيفه)؛ فالأسد الحقيقيُّ لا يحمل سيفًا، وإنما المقصود بالأسد رجلٌ شجاع يُشبَّهُ بالأسد. وهنا تكمن المفارقة المعنوية . إذ أعطيت قوة الأسد وخلعتها على رجل شجاع فشبهته بالأسد على سبيل المجاز.

وفي المجاز اللغوي تذكر كلمة أو قرينة تكون مانعة من إيراد المعنى الحقيقي بين المُشبه والمشبه به .

و ينقسم المجاز إلى قسمين اثنين (علاقتين) هما :

١- ما فيه علاقة المشابهة (الاستعارة) .

وينقسم إلى :

الاستعارة المكنية :

ويكون المُشبَّه فيها موجودًا، والمشبه به محذوفًا .

مثال: قال تعالى:-

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

[سورة الحديد: الآية ١٧]

المشبه هنا موجود (الأرض)، والمشبه به محذوف تقديره الإنسان أو الكائن والقرينة هي : (موتها).

الاستعارة التصريحية

وهي ما حذف فيها المشبه، ووجد المشبه به .

مثال ، نقول :

رأيت بحرًا يلقي محاضرة فالمشبه هنا محذوف قُدِّر (الإنسان) والمشبه به (المُصَرَّح به) موجود (البحر) ، والقرينة هي (يلقي).

الاستعارة التمثيلية

وهي التي تُشَبَّهُ فيها صورة بصورة أخرى، فنقول مثلاً رياضٌ يحيط به ياسمينٌ وملكٌ تحُفُّ جوانبه جنودٌ .فهنا أخذت كلمة الياسمين الصورة التي أخذتها كلمة الجنود ...

وفي أمثلة الاستعارة ترى المفارقة اللغوية في التعبير بالمجاز الذي هو غير موجود في الحقيقة .

٢- ما فيه علاقة غير المُشابه

وهو المجاز المرسل :

ومن علاقات المجاز المرسل : -

✓ **الكُلِّيّة :**

ما ذُكر فيه الكل و قُصِدَ الجُزءُ **مثل قولنا :**

شربتُ ماءَ النّيلِ، فهنا ذُكرَ الكُلُّ (ماء النيل) و قُصِدَ الجزءُ (بعض الماء) .

✓ **الجزئية :**

ما ذُكر فيه الجُزءُ وقُصِدَ الكُلُّ، **كقولنا :**

قَلَّمتُ ظفرَ العدُوِّ، فهنا ذُكِرَ الجُزءُ (الظفر) وقُصِدَ الكُلُّ (العدوُّ نفسهُ أو جسمه).

✓ **السببية :**

ما ذُكر فيه السبب وحُذف المُسبب، **مثل قولنا :**

السيفُ أنطقَ الحقَّ ، أي كان سببا في إظهاره .

✓ **المسببية :**

ما ذُكر فيه المُسبب وحُذف منه السبب، **مثل قولنا :**

رعت الماشيةُ الغيثَ، ذُكر المسبب وهو (الغيث) وحُذف السبب وهو مُقَدَّرٌ بـ: (العُشب).

✓ **اعتبار ما كان :**

ما قُصِدَ به الأصل، **كقولنا :**

أيها الطِّينُ لا تتكبر، فهنا ذُكِرَ أصلُ الإنسانِ أي أنه خلق من الطِّينُ.

✓ **اعتبار ما سيكون :**

أي ما لم يكن أصلهُ ما ذُكر في الكلام، **كقولنا :**

كم أنجبت المسلمات فرسانا!، حيثُ إنَّهُ ذُكر ما سيكون أي (المولود لا يولد فارسا) بل سيكون عندما يكبر فارسا .

obeikandl.com

✓ **المحليّة :**

ما ذُكر فيه المَحلُّ وقُصِدَ به من فيه . كقولنا :

ركبتُ البَحرَ، فهنا ذُكر المحلُّ (البحرُ) وقُصِدَ ما يُحلُّ به (السفينة).

✓ **الحالية :**

ما ذُكرَ فيه الحالُ وقُصِدَ به المحلُّ، كقوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الانفطار: الآية ١٣]

فهنا ذُكرَ الحالُ (النعيم)، وأُريدَ المحلُّ (الجنة).

✓ **الآليَّة :**

ما ذُكرت فيه آلةٌ وقُصِدَ جهاز أو أداة، كقولنا :

لا تكُن عينًا على جارِكَ، فهنا ذُكِرت الآلةُ (العين) وأُريدَ شئ آخرُ كجهاز تجسس ...

والمفارقة بادية في الأمثلة السابقة في العلاقة المذكورة فيها ، في حين أن المراد غيرها ، فأنت تقول – كما في المثال الأول – مثلاً :

شربت ماء النيل ، ذكر الكل ، في حين أنه يريد الجزء (أي بعض الماء) وهنا تكمن المفارقة ، وهكذا في بقية الأمثلة .

obeikandl.com

رد الصدور على الأعجاز :

من الفنون البديعية التي فطن لها القدماء،وتحدثوا فيها . فقد سماه ابن المعتز:

" رد أعجاز الكلام على ما تقدمها" وأشار إلى أنه يَرِدُ في النثر كما يرد في الشعر.

وقد عرّفه المتأخرون من البلاغيين بأنه: " أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين، في أول الفقرة والآخر في آخرها.

أما في الشعر فهو أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في أول الصدر أو وسطه أو آخره أو في أول العجز. واللفظان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى، مثل قوله تعالى:

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨]

فاللفظ والمعنى واحد والمتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى مثل:

(سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل).

سائل الأولى من السؤال والثانية من السيلان .

وفي الشعر :

أولع الشعراء باستعماله، وافتنوا في توظيف أشكاله مستثمرين تلك الطاقات الموسيقية التي تولدها عملية إعادة اللفظ أو ما يشبهه داخل البيت الواحد.

فمن ذلك قوله الشاعر :

سجنتم فؤادي بالشجى يوم بينكم فها هو منكم في سجون شـــجون

ظعـــنا وأنتم قاطنون فـــديتـــكم بكل الورى من قاطنٍ وظعـــــين

فقد أورد الشاعر أكثر من لفظين مكررين يجمع بينهما الاشتقاق .

في البيت الأول (سجنتم، سجون) و(الشجن،شجون).

وفي البيت الثاني (ظعنا) و (ظعين)، (قاطنون) و(قاطن).

ومثله قول القائل :

قبـــاب معـــالم أنـــتم ســـلامٌ علـــى تلـــك المعـــالم والقبـــاب

فقد جمع في هذا البيت فن رد الأعجاز على الصدور في قوله :

(قباب ومعالم) في الشطر الأول ، (المعالم والقباب) في الشطر الثاني ، كما عكس ما بين الكلمتين في الشطرين . فجاء الفنان منسجمان يصوران جمال الأداء والصياغة الفنية في لغة الشاعر.

ومنه أيضا قول القائل :

مضى عصر النعيم وكان طلقًا فوا أسفي على عصـــر النعـــيم

وقول القائل :

قصيرٌ مدى الدنيا، كثير عناؤها وحبلُ أماني الغافـلين قـصيرُ

وقول القائل :

شتّان بـــين شموخِ أمـــتنا الذي ولّى ، وبين خـــضوعها شـــتّانا

وينبغي أن ننوه إلى أن هذا الفن البديعي يتداخل مع التجنيس في طبيعته التكرارية الملحوظة " على مستوى البناء الشكلي . كما هي ملحوظة على مستوى البنية العميقة ، إذ تتوارد لفظتان بمعنى واحد أو بمعنيين مختلفين ، ولكن صيغة

البعد المكاني للفظتين هو الذي نقل البنية من نسق التكرار أو الجناس إلى نسق رد الأعجاز على الصدور. فكأن التكرار هنا لا بد أن يتوفر فيه ذهنيًا مسافة في الدلالة تسمح للفظة التالية أن تستقر بعدها محققة نوعًا من اكتمال المعنى أو بيانه أو تحقيقه" .

وبلاغة رد " الإعجاز على الصدور ترجع " إلى أمرين : -

- ❖ تأكيد المعاني وتقريرها ، من خلال التكرار ، ومعلوم أن اللفظ عندما يكرر أو يذكر مجانسًا للآخر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر .
- ❖ دلالة أول الكلام على آخره ، وارتباط آخره بأوله ، وتلك هي البلاغة " أن يكون أول كلامك دالاً على آخره ، وآخره مرتبطًا بأوله . وقد كان صنّاع الكلام يفخرون بدلالة أول كلامهم على آخره ، وارتباط آخره بأوله ".

وفي النماذج السابقة تكرار لفظي بين لفظين ، ونلحظ اختلافًا في موضع اللفظين المكررين ، مما يحدث مفارقة لغوية تؤدي إلى التفاوت في أثر التكرار : معنويًا وجماليًا وإيقاعيًا ، إضافة إلى أن اللفظين المكررين يمنحان النص مزيدًا من الإيقاع الموسيقي ، وتقوية للمعنى .

obeikandl.com

الكتابة

obeikandl.com

obeikandl.com

في اللّغة:

التكلّم بما يريد به خلاف الظاهر.

وفي الاصطلاح:

لفظ أريد به غير معناه الموضوع له، مع إمكان إرادة المعنى الحقيقي، لعدم نصب قرينة على خلافه.

وهذا هو الفرق بين المجاز والكناية، ففي الأول لا يمكن إرادة الحقيقي لنصب القرينة المضادّة له، بخلاف الثاني.

نعم قد يمتنع المعنى الحقيقي لخصوص المورد، كقوله تعالى:

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: الآية ٥]

فإنه كناية عن القدرة والاستيلاء، ويمتنع المعنى الحقيقي، لامتناع كونه تعالى جسمًا.

ومثال الكناية: (فلان كثير الرماد) تريد أنه كريم، للتلازم في الغالب بين الكرم وبين كثرة الضيوف الملازمة لكثيرة الرماد من الطبخ.

أنواع الكناية

١ ـ الكناية عن الصفة، مثل:

(طويل النجاد) كناية عن طول القامة.

٢ ـ الكناية عن الموصوف، مثل قوله:

فلما شربناها ودبّ دبيبهـــــا إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

obeikandl.com

أراد بموطن الأسرار: القلب.

٣ ـ الكناية عن النسبة، كقوله

إن السـماحة والمـروة والنـدى في قبة ضربت على ابن الحشـرج

فإن تخصيص هذه الثلاثة بمكان ابن الحشرج يتلازم نسبتها إليه.

الكناية القريبة والبعيدة

للكناية عن الصفة نوعان:

١ ـ قريبة، وهي التي لا يحتاج الانتقال فيها إلى إعمال روية وفكر، لعدم الواسطة بينها وبين المطلوب.

٢ ـ بعيدة، وهي التي يحتاج الانتقال فيها إلى إعمال روية وفكر، لوجود الواسطة بينها وبين المطلوب.

فمثال الأول: (طويل النجاد) فإن النجاد حمائل السيف، وطوله يستلزم طول القامة بلا واسطة.

ومثال الثاني: (كثير الرماد) فكثرة الرماد تستلزم الكرم لكن بواسطة، لأنّ كثرة الرماد ملازمة لكثرة الإحراق، وهي ملازمة لكثرة النار والطبخ، وهي ملازمة لكثرة الضيوف، وهي ملازمة للكرم، المقصود.

الكناية باعتبار اللوازم

تنقسم الكناية باعتبار اللوازم والسياق إلى أربعة أقسام:

١ ـ التعريض، وهو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضًا بالمخاطب، كقولك للمهذار: (إذا تمّ العقل نقص الكلام).

٢ ـ التلويح، وهو أن تكنز الوسائط بدون تعريض، نحو: (كثير الرماد) و(وجبان الكلب) و(مهزول الفصيل).

٣ ـ الرمز، وهو أن تقل الوسائط مع خفاء في اللزوم بدون تعريض، كقولهم: (فلان متناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه، إذ الذكاء الكثير في الجسم المتناسب وقولهم: (هو مكتنز اللّحم) كناية عن قوّته وشجاعته.

٤ ـ الإيماء وهو أن تقل الوسائط، مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقوله:

اليمـــــن يتبـــــع ظلـــــه والمجـــد يمشـــي فـــي ركابـــه

فائدة الكناية

معلوم أن الكناية أبلغ من التصريح، وذلك لأنها تفيد أُمورًا، منها:

١ ـ القوّة في المعنى، وذلك لأنّها كالدعوى مع البينة، إذ لو قيل (فلان كريم) سئل عن دليل ذلك؟ فاللازم أن يقال: بدليل كثرة رماده، فإذا ذكر أولًا أراح، وأتى بالدعوى مع البيّنة.

٢ ـ التعبير عن أمور قد يتحاشى الإنسان عن ذكرها احترامًا للمخاطب.

٣ ـ الإبهام على السامع.

٤ ـ تنزيه الأُذن عمّا تنبو عن سماعه.

٥ ـ النيل من الخصم دون أن يدع له مأخذًا يؤاخذه به وينتقم منه.

وهناك أغراض كثيرة أُخرى تترتّب على الكناية لا تخفى على البليغ.

أما المفارقة اللغوية فتبدو في ترك التصريح بالمعنى المباشر إلى التكنية عنه فبدلاً من قولك: محمد كريم، تقول: محمد كثير الرماد.

obeikandl.com

التهكم والسخرية

obeikandl.com

obeikandl.com

التهكم :

من تكلم عليه

- التكم وهو السيل الذي لا يطاق .
- التهكم: صوت التغني والترنم .
- التهكم : وصوت المطر الشديد الذي لا يطاق .
- التهكم : وصوت المستهزئ .
- والتهكم :تهور البئر.
- وتهكمت البئر: تهدمت.
- والتهكم: الطعن المدارك، فالمادة فيها الهجوم بقوم وبصوت مسموع.
- والمتهكم: المتكبر.
- والهَكم: المتقحم على ما لا يعنيه الذي يتعرض للناس بشره،
- وتهكم بنا: عبث بنا وترى علينا.
- إذن: فالتهكم: استهزاء في قوة، وعدم خفاء، وفي تقحم.

أسلوب التهكم :

لون من ألوان البديع يُعبَّر فيه بعبارة يُقصد منها ضدّ معناها للاستهزاء والسخرية والتهكُّم ، كأن يُؤتى فيه بلفظ البشارة في موضع الإنذار ، والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهزاء كقول الله تعالى مخبرًا عن الكافرين المكاندين:

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الدخان: الآية ٤٩]

obeikandl.com

النيل سلنا من مقولة أو فكرة أو معتقد أو كائن. فيكسر تتواتر مسار الحديث من المسار الجد إلى مسار هزل ، وهو فن يرسم الضحكة على الوجوه ولكنه يورث حرجا .

وقد ورد أسلوب التهكم في القرآن الكريم كثيرًا ، ومنه قول الله تعالى

﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾

[سورة ص: الآية ١٠]

تهكم الله عز وجل على كفار قريش في هذه الآية متسائلاً :

هل لهم شيء من ملك السماوات والأرض؟ وهو إنكار وتوبيخ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ أي إن كان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء، وليدبروا شئون الكون؟ وهو تهكم بهم واستهزاء.

قال الزمخشري : " تهكم بهم غاية التهكم. فقال: إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق، والتصرف في قسمة الرحمة، وكان عندهم من الحكمة ما يميزون بها بين من هو حقيقٌ بالنبوة من غيره، فليصعدوا في المعارج التي يتوصلون بها إلى العرش،حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون وهو غاية التهكم بهم".

أمثلة التهكم والسخرية :

من السخرية القديمة قول الحطيئة ساخرًا من الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وعرض الأمر على حسان بن ثابت، قال: "لم يهجه بل سلح عليه".

وفي رواية: "بل ذرق عليه". وهذا يدل على فهم الجاهليين لقوة أثر السخرية وبرأنهم لم يعبروا عنها التعبير الذي تستحقه، بدليل أنه شبهها بالسلح".

وبقول ابن الرومي منكلمًا وساخرًا من بخيل اسمه عيسى :

يُقتِّرُ عيسى على نفسه
وليس بباقٍ ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره
تنفّس من منخر واحد
عذرناه أيام إعدامه
فما عذرُ ذي بَخَلٍ واجد
رضيتُ لتقريق أمواله
يَبذي وارثٍ ليس بالحامد

وقد سخر بشار بن برد من بخل عبد الله بن قزعة ، فقال:

فقل لأبي يحيى متى تدرك العلى
وفتّى كل معروف عليك يمينُ
إذا جئته في حاجة سدَّ بابه
فلا تلقه إلا وأنت كمينُ
إذا سلّم المسكينُ طار فؤاده
مخافة سُؤلٍ واعتراه جنونُ

ويدخل الهجاء في دائره التهكم والسخرية ، ولكنه أشد منهما ، ومنه ما يتناول الأعراض وحياة الناس ، وهذا ما نهى عنه ديننا الحنيف لقول النبي ﷺ

(ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء)

والمفارقة اللغوية في التهكم نابعة من كونه مبالغة زائدة عن الحد ، كما في قول ابن الرومي عن البخيل (تنفس من منخر واحد) ، أو مفارقة بالخروج من مألوف الكلام إلى نقيضه أو إلى غير المألوف منه كما في قول بشار :

(طار فؤاده مخافة سؤل واعتراه جنون) ، وكلها أمور أدعى على التفكير وكد الذهن .

التعريض

obeikandl.com

obeikandl.com

المعنى اللغوي:

يقال لغة: عرض لي فلان تعريضا: أي: قال فلم يبين بصراحة اللفظ.

أعراض الكلام ومعارضه ومعاريضه: كلام غير ظاهر الدلالة على المراد

وفي الحديث:

"إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب" أي: فيها سعة يتخلص بها المتحدث من الكذب إذا لم يرد التصريح. مصطلح التعريض يعني:

أن تقول كلاما لا تصرح فيه بمرادك منه، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية ويمكنك أن تتهرب من التزام ما أشرت به إليه إذا صرت محرجا.

وفي التعريض مزيد إخفاء يجعله أكثر قبولا حينما يكون التصريح مثيرًا لغضب، أو نقد، أو اتهام، أو عذل و تلويم، أو يكشف أمرا يجب ستره عن الرقباء فيقوم التعريض مقام الإلغاز والرمز الخفي وقد يكون التعريض بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال.

أمثلة التعريض:

وفي القرآن الكريم :- ما جاء في القرآن من نحو قول الله عز وجل:

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ٩٨]

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣٢]

في هذه النصوص تعريض بالكافرين الذين لا ينتفعون من آيات الله في كونه، وآياته في بياناته، بأنهم لا ألباب لهم، وبأنهم لا يتفكرون، وبأنهم لا يفقهون، دون أن تكون هذه المعاني منصوصا عليها، لكنها تفهم إلماحا.

قال الله عز وجل في سورة (التوبة) .

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٨١]

مقوله : (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا) لم يقصد منها إعلام المنافقين المخلفين عن رسول الله في غزوة تبوك، بأن نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا من حرارة الفصل الصيفي الذي خرج فيه الرسول والمؤمنون إلى غزوة تبوك، فهذا أمر واضح، لكن المقصود التعريض بأن هؤلاء المنافقين هم من أهل جهنم التي تكويهم بحرها يوم الدين.

وفي دعاء موسى عليه السلام (في سورة القصص)عند ماء مدين إذ خرج من مصر خائفا يترقب:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ۖ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴾ [سورة القصص: الآية ٢٥]

نلاحظ في دعاء موسى عليه السلام بقوله: فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ احتمال التعريض بحاجته إلى المأوى والرزق والزوجة، ورأى أن الله قد ساق له مقدمات ما هو بحاجة إليه، فقال: رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ بصيغة الفعل الماضي ولم يقل: لما ستنزل، إذ شعر أن بشائر ما هو مفتقر له قد ظهرت بفرحة المرأتين به لما سقى لهما، وعلم أن أباهما شيخ كبير يحتاج إلى معين رجل.

لذلك جاء في النص بعد حكاية دعائه قول الله تعالى:

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ فدلت الفاء العاطفة على الترتيب مع التعقيب، وفي هذا إشعار بأن الله استجاب له دعاء الذي دعا به تعريضا لا تصريحا.

تزوج الحجاج من امرأة اسمها هند ، رغما عنها وعن أبيها ، وذات مرة وبعد مرور سنة جلست هند أمام المرآة تندب حظها وهي تقول:

وما هند إلا مهـــــــــرة عربيـــة

سليلة أفراس تزوجهـــــــــا بغـــــل

فإن أنجبت مهـــرا فللـــه درهـــــــا

وإن جاءها بغـــل أتـــى بـــه البغـــــــل

فسمعها الحجاج فغضب ؛ فذهب إلى خادمه وقال له اذهب اليها وبلغها اني طلقتها في كلمتين فقط لو زدت ثالثة قطعت لسانك ،وأعطها هذه العشرين ألف دينار.

فذهب إليها الخادم فقال لها : سيدي الحجاج يقول لك :-

كنت .. فبنت!! كنت (يعني كنت زوجته) فبنت (يعني أصبحت طليقته).

ولكنها كانت أفصح من الخادم فقالت:

كنا فما فرحنا ... فبنا فما حزنا!!

وقالت : خذ هذه العشرين ألف دينار لك بالبشرى التي جئت بها!!

وقيل إنها بعد طلاقها من الحجاج لم يجرؤ أحد علي خطبتها وهي لم تقبل بمن هو أقل من الحجاج، فأغرت بعض الشعراء بالمال فامتدحوها وامتدحوا

جمالها عند عبد الملك بن مروان، فأعجب بها وطلب الرواح منها وأرسل إلى عامله على الحجاز ليصفها له، فأرسل له يقول إنها لا عيب فيها ، غير أنها عظيمة الثديين .

فقال عبد الملك وما عيب عظيمة الثديين؟! تدفيء الضجيع، وتشبع الرضيع

فلما خطبها وافقت وبعثت إليه برسالة تقول: أوافق بشرط أن لا يسوق الجمل من مكاني هذا إليك في بغداد إلاَّ الحجاج نفسه !!

فوافق الخليفة ، و أمر الحجاج بذلك فبينما الحجاج يسوق الراحلة إذا بها توقع من يدها دينارًا متعمدة ذلك، فقالت للحجاج يا غلام لقد وقع مني درهم فأعطنيه.

فأخذه الحجاج فقال لها إنه دينار وليس درهما . فنظرت إليه وقالت:

الحمد لله الذي أبدلني بدل الدرهم دينارًا

أي أنها تزوجت خيرًا منه.

ففهمها الحجاج و أسرها في نفسه.

وعندما كان الناس يتجهزون للوليمة تأخر الحجاج في الإسطبل فأرسل إليه الخليفة ليطلب حضوره وعند وصولهم ،طلب الخليفة من الحجاج أن يأكل فرد عليه:

ربيتني أمي على ألا آكل فضلات الرجال.

ففهم الخليفة و أمر أن تدخل زوجته بأحد القصور ولم يقربها إلاَّ أنه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر.

فعلمت هند بسبب عدم دخوله عليها، فاحتالت لذلك وأرسلت إليه أنها بحاجة له في أمر وأمرت الجواري أن يخبرنها بقدومه.

وعندما جاء الخليفة تعمدت قطع عقد اللؤلؤ عند دخوله ورفعت ثوبها لتجمع فيه اللآلئ فلما رآها عبد الملك... أثارته روعتها وحسن جمالها وتندم لعدم دخوله بها لكلمة قالها الحجاج فقالت: وهي تنظم حبات اللؤلؤ... سبحان الله!!

فقال: عبد الملك مستفهما لم تسبحين الله ؟فقالت: إن هذا اللؤلؤ خلقه الله لزينة الملوك

قال: نعم .

قالت: ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلاّ الغجر .

فقال متهللاً: نعم والله صدقت . قبح الله من لامني فيك ودخل بها من يومه هذا (العقد الفريد).

تأمل التعريض في قولها : الحمد لله الذي أبدلني بدل الدرهم دينارًا، تعريضا بالحجاج .

ثم انظر إلى تعريض الحجاج بها في قوله : ربتني أمي على ألاّ آكل فضلات الرجال. يعرض بهند التي تزوجها الخليفة من بعده .

وكذلك تعريض هند بالحجاج في قولها : ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلاّ الغجر.